بسم الله الرحمن الرحيم

جلسة على الرصيف

تأليف

فضيلة الشيخ

سلمان بن فهد العودة

المشرف العام على موقع الإسلام اليوم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمـــالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد[١]:

أخي الشاب.. أخي الحبيب: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، وحقيقةً إنه ليسعدني أن أتحدث إليك، فلقد مر علينا زمان، كنا نرى فيه فلذات أكبادنا في مجالسهم، وأماكن سمرهم وسهرهم، فيخيل إلينا أن الحديث إلى أولئك الشباب قد يكون ضربًا من الخيال والمحال، فإذا به يصبح أمرًا واقعًا.. فالحمد لله على كل حال.

أخي الحبيب.. هل نطمع أن يكون هذا اللقاء الميمون على صفحات هذا الكتاب سببًا في الاتصال الدائم بيننا: نستمع إليك،

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ بتاريخ ١٤١١/٥/٨هـــ. في الجامع الكبير ببريدة، وهى ضمن سلسلة "الدروس العلمية العامة" ورقمها (٣٠).

وتستمع إلينا، ونتدارس المشكلات بروح الأخوة والمحبة؟

هل يتسع صدرك لرؤية إخوانك الملتزمين بالدين، حين يزورونك لمدة عشر دقائق، أو خمس دقائق؛ ليتناولوا معك كأسًا من الشاي، أو كوبًا من الماء؛ وليوصلوا إليك خبرًا يهمك، أو يحدثوك بقصة، أو يستشيروك في مشكلة، أو يقدموا لك هدية؟

أرجو أن يتسع صدرك -أيها الشاب- لمثل أولئك الإخوة حين يقدمون إليك، وإننا لواثقون أن كرمك الفطري لن يعتذر عما نطلبه منك.

أخي هل رأيت المآذن دومًا تشق الفضاء؟

أخي هل سمعت النداء يردد: "الله أكبر"؟!

أخي هل غسلت فؤادك يومًا بنور السماء؟

تعالَ معي يا حبيبي إلى روضة من ضياء.

تعالَ إلى حيث يدعو المنادي صباح مساء: يردد: "الله أكبر".



لا يستويان

أخي الكريم.. إن الفرق كبير جدًا بين صنفين من الشباب، في الاهتمامات المستقبلية، والواقع النفسي والاجتماعي، وغير ذلك:

- فرق بين من غاية طموحه أن يمتلك سيارة فارهة، يجوس بها خلال الديار، ويزعج الناس بصوت إطاراتها، أو يحمل معه فيها صديقًا أو زميلاً.. فرق بين ذلك الشاب، والشاب الذي يتعدى طموحه ذلك إلى أن يطمع في تحقيق نصر وعزة للإسلام والمسلمين، أو يطمح إلى أن يكون عالمًا يشار إليه بالبنان، أو داعيةً، أو خطيبًا، يهز أعواد المنابر، أو مجاهدًا يخضب الأرض بدمه.
- فرق كبير بين من غايته ومناه أن يمتلك بيتًا واسعًا، ويقترن بزوجة حسناء، ومن يهفو إلى أن يكون من المتقين، الذين هم **﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾** [القمر: ٥٤ ، ٥٥]
- فرق -أيها الأخ- بين من يسهر الليل، يتقلب على فراشه؛ أسفًا وحزنًا لواقع الأمة الإسلامية، التي أصبحت تئن تحت

المطارق والضربات ليلاً ونهارًا.. ومن يبيت أرقًا؛ لأن صديقه الذي امتلأ قلبه بحبه، قد تركه إلى غيره، أو لأن فريقه الذي يشجعه قد مُنِيَ بهزيمة منكرة، في مباراة رياضية.

- فرق -أي فرق- بين من يسافر ليتعاطى المخدرات، ويبيت في أحضان المومسات والبغايا، ويعود إلى بلده وقد فقد الحياء، فقد الرجولة، فقد الدين، فقد الخلق، فقد المال، فقد الصحة، فقد السعادة.. فرق بينه وبين من يسافر، ليدعو إلى الله، وليتفقد أحوال المسلمين، ويعايشهم، ويحاول أن يخفف عنهم من همومهم وآلامهم.
- فرق كبير، وبون شاسع -أخي الكريم- بين شاب إذا سمِعَتْه المجالس فرحت بذكره، وارتفعت إليه الرؤوس، واشرأبت الأعناق، وطاب الحديث؛ لأنه فلان بن فلان، الرجل الطيب المطيب، صاحب الحديث اللذيذ، صاحب المجلس المبارك، صاحب الصدقات، صاحب الابتسامة المشرقة، التي تجمل مُحيّاه، صاحب تحفيظ القرآن الكريم، صاحب العلم والتعليم، صاحب المسجد والعبادة.. فرق بينه وبين إنسان آخر إذا ذُكر، فإنما يذكر بالسب، والشتم والدعاء عليه؛ لأنه إما مدمن

خمر، أو متعاطي مخدرات، أو آكل ربا، أو واقع في فاحشة، أو صاحب أسفار للرذيلة، أو زميل لفئة من فئات الفساد والريب، أو رجل لا يعرف إلا في أماكن السوء والانحلال.

- فرق بعيد بين من يتمتع بما أحل الله له؛ فتجد صحته سليمة، وحياته مستقيمة، وراحته تامة، ونومه هنيئًا؛ لأنه قد أرضى الله – عز وجل –، فأرضاه الله تعالى.. ومن يتململ على فراش المعصية، قد امتلأ جسمه بالأمراض والأوبئة؛ بسبب عصيانه لله – عز وجل –، وقد فقد الراحة والهدوء، والأمن والاطمئنان، فهو يتقلب على مثل شوك السعدان[1]، يأوي إلى فراشه يريد النوم، فيطير من عينيه؛ لأن الأحزان والهموم والمصائب التي ملأت قلبه، لم تَدَع للنوم إلى عينيه سبيلاً.
- فرق بين من أرضى الله – عز وجل – ومن أسخطه سبحانه، فمن رضي الله عنه فالدنيا في عينه واسعة، حتى لو كان يعيش في سجن ضيق، وحتى لو كان طريحًا على سرير المرض؛ فإن الذي يرضى عنه الله تعالى فلا خوف عليه.

وإذا العناية لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهن أمان

وأما من سخط الله جل شأنه عليه فإنه –سبحانه– يجعل كل ما عنده سببًا في شقاوته: فالمال يتعبه ويقلقه أمْرُه، والصحة تغريه بمقارفة الرذائل، والولد كان وبالاً عليه، والشهادة العلمية كانت طريقًا له إلى المشكلات.. فكل ما أعطاه الله في هذه الدار أصبح سببًا في شقوته وعذابه؛ لأن الله تعالى سخط عليه؛ فجعل كل ما يتصل به وبالاً عليه، قال تعالى: **(فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)** [التوبة: ٥٥]

فرق بين من ينعم برضا أمه وأبيه، فإذا أراد الخروج من البيت قالت له أمه: يا ولدي حفظك الله في حِلِّك وترحالك، فيقبِّل رأسها، ويدعو لها، ويخرج وملء قلبه الرضا والسرور.. فرق بينه وبين إنسان آخر، يدخل على والديه فلا يلتفت إليهما، ولا يلتفتان إليه، هما يدعوان الله تعالى عليه بكرةً وعشيًا أن يهلكه–إن لم يهده– حتى يرتاحا من شره.

أخي العزيز، هذا هو حال شباب الأمة: منهم الصالحون،

ومنهم الطالحون .. ولا يستوي الصنفان.



أنت مع من أحببت

أخي الشاب، أنت تعلم أن كل امرئ سيحاسب عن نفسه، ولن يغني أحد عن أحد شيئًا، ولو كان أقرب قريب: فالأب لا يجزي عن ولده، والزوج لا يجزي عن زوجه، والولد لا يغني عن والده شيئًا...

لا شك -أخي الشاب- أنك تدرك هذا كله، لكنني أضع بين يديك هذا السؤال:

- **لماذا يحرص الشباب الملتزمون بالدين على هداية الناس؟ لماذا يتكدرون حينما يسمعون الأخبار السيئة حول انحراف بعض الناس؟ بل، لماذا يشتدون أحيانًا ويغضبون إذا رأوا أو سمعوا ما يسخط الله تعالى ؟**

هل تعتقد أخي الحبيب أن هناك سببًا لذلك غير محبتهم الخير للناس؟!

كلا، إنهم لا يضيرهم أبدًا أن ينحرف من انحرف، أو يضل من ضل، أو يهلك من هلك، قال تعالى: **﴿إن كُل مَن فِي**

السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا) [مريم : ٩٣-٩٥]

(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) [المائدة: ١٠٥].

إذن فلا يضير الأخيار أن يهتدي الناس أو يضلوا، يستقيموا أو ينحرفوا، يصلحوا أو يفسدوا..، لكن الله - عز وجل - جعل في قلوبهم رحمةً، فإذا رأوا الفساد والمعاصي حزنوا لذلك وابتأسوا، حتى كأنهم سيعذبون بمعصية غيرهم وإثمه؛ فيحرصون من ثم على هدايته، وجلب الخير له.

إنهم يحبون الخير للأمة، ويحرصون على هداية الناس، ويكرهون أن يروك- أخي الشاب- وأنت تعاني من العذاب في النار.

أخي الحبيب.. لاشك أنك تشاطرني السرور تجاه النتيجة الطيبة التي انتهى إليها استفتاء[٢] أجري مع مائتين من إخواننا الشباب، الذين يجلسون على الأرصفة -هدانا الله وإياهم، ونفع الأمة بنا وبهم- حيث أعلن (٧٠%) من هؤلاء الشباب أنهم يحبون

الشباب المتدينين جملة وتفصيلاً، وأما (١٠%) منهم فإنهم يحبون بعض المتدينين، و (١٠%) فقط لا يحبون المتدينين؛ لسبب أو لآخر؛ إذن (٨٠%) يحبون الشباب الملتزمين بالدين.

وحينما سُئل كثير من الشباب: هل تحب أن تكون متدينًا؟ كانت النتيجة أن (٩٩,٥%) يرغبون أن يكونوا شبابًا متدينين؛ لأنهم يريدون رضوان الله تعالى والجنة، وبعضهم زاد على ذلك أنه يريد الراحة في الدنيا.

● والمرء مع من أحب، فعن أنس — رضي الله عنه - أن رجلاً سأل النبي — صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: **"ماذا أعددت لها؟"** قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : **"أنت مع من أحببت"** متفق عليه[٣].

وعن أبي موسى — رضي الله عنه - أنه قيل للنبي — صلى الله عليه وسلم -: الرجل يحب القوم، ولما يلحق بهم؟ -أي: يحبهم لكنه لم يعمل مثل عملهم-، فقال النبي — صلى الله عليه وسلم -: **"المرء مع من أحب"**. متفق عليه[٤].

إنك حين ترى كثيرًا من الشباب؛ تعلم أنهم يحبون الطيبين، تعرف ذلك من خلال عيونهم، ونظراتهم ووجوههم، فإن الوجه يعبر عما في النفس:

والنفسُ تعرف في عَيْنَي محدثها
إن كان من حِزْبها أو من أعاديها

عيناكَ قد دلتا عيَنَي منك علـى
أشيـاء لولاهما ما كنت أدريها

- فيا أخي الشاب الحبيب، أبشر بالخير العاجل والآجل، فإن رِجلك الآن قد وضعت في الطريق الصحيح؛ حيث إنك جعلت وَلاءك لله تعالى، ولرسوله – صلى الله عليه وسلم –، وللمؤمنين. وأعلنت إعلانًا صريحًا أنك تحب الشباب الملتزمين بالدين، وأنك لا تعدل بهم أحدًا أبدًا: لا فنانًا، ولا مطربًا، ولا لاعبًا، ولا تاجرًا، ولا أميرًا، ولا وزيرًا، ولا غيره(٥).

أخي الكريم، إنه حب في الله، فهل ذقت طعم المحبة في الله تبارك وتعالى؟

إنها محبة في الله –كما قلت–، وليست محبة في الفريق الرياضي، فإنك لم تحب فلانًا لأنه يشجع النادي الذي تشجعه..

وليست محبة من أجل المال، فإنك لم تحبه أملاً في عرض من الدنيا تناله منه.. وليست محبة من أجل الجمال والحسن، فإنك لم تحبه من أجل جمال خلقته، وحسن هيئته، فتلك محبة هوى، تورث الذل في الحياة وبعد الممات.

إن المحبة في الله تعالى طعم آخر غير ذلك كله، إنها طعم لا يمكن وصفه، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: **"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"**. متفق عليه(٦).

- أخي، هل اقتربت من الشباب الملتزمين بالدين؟ هل نظرت في وجوههم المشرقة بنور الإيمان؟ هل سمعت لذيذ كلامهم وعذب حديثهم؟

عن أبي إدريس الخولاني – رضي الله عنه – قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فيه فتىً برّاق الثنايا، وإذا الناس حوله، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه؛ وصدروا عن رأيه فيه، قال: فوقع حبه في قلبي. فسألت عنه، فقيل لي: هذا معــاذ بن جبل –

رضي الله عنه -، هذا صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم -. قال: فلما كان من الغد بكرت، فوجدته قد سبقني في التبكير، ووجدته يصلي، فانتظرته، حتى إذا قضى صلاته أتيته من قِبَل وجهه، فجلست بين يديه، وقلت له: والله إني لأحبك في الله، فنظر إليّ وقال: آلله؟ قلت: آلله. قال: آلله؟ قلت: آلله. قال: آلله؟ قلت: آلله. فأخذ بحبوتي[٧] فجذبني إليه، وقال لي: أبشر، فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول: **"قال الله تعالى: وجبت** محبتي **للمتحابين** فيّ**، ووجبت** محبتي **للمتجالسين** فيّ**، ووجبت** محبتي **للمتزاورين** فيّ**، ووجبت** محبتي **للمتباذلين** فيّ**"**[٨].

أخي الحبيب.. أخي المسلم، هل تريد في دنياك شيئًا أعظم من أن يحبك الله تعالى ؟!

من أحبه الله جل وعلا فماذا يضره أن يبغضه الناس كلهم -لو أبغضوه-؟! مع أن الواقع أن الله تعالى إذا أحب شخصًا؛ كتب له الحب بين الناس، قال – صلى الله عليه وسلم -:**"إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل إن الله** يحب **فلانًا فأحبه؛ فيحبه جبريل، فينادي جبريل** في **أهل السماء إن الله** يحب **فلانًا**

فأحبوه؛ فيحبه أهل السماء، ثم **يوضع له القبول** في **أهل الأرض**"[٩].

هل تريد -أخي- أكثر من أن يحبك الله جل وعلا فيجعل كل طرائقك، وكل مسالكك، وكل خططك؛ تؤول إلى النجاح والفلاح؟ إن هذا هو غاية ما يتمناه كل إنسان.

- والسبيل إلى ذلك سهل ميسور، وهو أن يخفق قلبك بمحبة المؤمنين. فهل جربت هذا؟ هل تحرك قلبك بحب أصحاب الوجوه النيرة؟

هل خفق قلبك بحب أصحاب النوافل؟[١٠]

هل خفق قلبك بحب أهل الصيام والقيام؟

هل خفق قلبك بحب أهل العلم والدعوة والجهاد؟

هل خفق قلبك بحب أهل الصدق، والبذل، والإنفاق في سبيل الله؟

هذا السؤال مطروح عليك، فاختبر نفسك، مستشعرًا الحديث النبوي الآتي:

عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - أن النبي – صلى

الله عليه وسلم – قال: "**إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء؛ يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى.** قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم. قال: **هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس،** ثم قرأ – صلى الله عليه وسلم – قوله تعالى: **(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** [يونس:٦٢-٦٤][١١].

هذه المحبة الإيمانية الأخوية هي أدوم شيء في الدنيا؛ فإن المتحابين في الله لا يتفرقون أبدًا، لقد خفقت قلوب المؤمنين بحب بعضهم بعضًا منذ عشرات السنين، ولا يزال الحب بينهم لا تزيده الأيام والليالي إلا رسوخًا، وثباتًا ومضاءً.

وأحلف بالله إني لأرى بعض الشباب الطيبين المتمسكين بالدين، وبينهم من الألفة والمودة والتراحم والتحاب والصداقة أشد مما بين الأشقاء، فأقول في نفسي: ربما تكون هذه عاطفة

مؤقتة لا تلبث أن تزول. لكنني وجدتها لا تزداد إلا قوة وعمقًا ورسوًّا؛ فهم منذ سنين طويلة على غاية من الحب والتواصل والتراحم، لم يجد الشيطان سبيلاً إلى فصم[١٢] هذه المحبة.

وهذا بخلاف المحبة في غير الله: كالمحبة في المال، أو الجاه، أو المحبة على المعصية.. فإنها سريعة الزوال، وقد قيل: من أحبك على شيء أبغضك على فقده.

فكم من غني لما افتقر تفرق عنه أصحابه !! وكم من رئيس أو مسؤول لما أعفي من منصبه، أو تقاعد؛ تركه الناس، وأعرضوا عنه، حتى ربما رأوه في الشارع فلم يسلموا عليه!!

فهل ترضى –أخي الشاب– بديلاً للمحبة في الله، وهي التي لا تنقطع حبالها، ولا تنتقض عراها طوال الحياة؟! بل إنها تدوم حتى بعد الموت، ألا ترى بعض الطيبين المستقيمين إذا ذكر عندهم بعض إخوانهم وأحبابهم في الله الذين لحقوا بربهم؛ دمعت عيونهم، وقالوا: رحمة الله على فلان.

ووالله إننا لنتلذذ بترديد أسماء بعض أحبابنا وأصحابنا، الذين لقيناهم يومًا من الدهر، ثم سبقونا إلى الدار الآخرة؛ فكلما ذكرناهم ترحمنا عليهم.

وكلما عرف الصالحون أن لصديقهم المتوفى أولادًا أو زوجة أو أُمًّا أو قريبًا؛ بادروا بصلتهم وإعانتهم والإحسان إليهم، وسارعوا إلى سداد دَيْنِ صاحبهم؛ إن كان عليه دين.

بل إن المحبة في الله تعالى باقية مستمرة خالدة في الدار الآخرة أيضًا، قال الله تعالى: **(الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)** [الزخرف:٦٧] -أي يوم القيامة- أما غير المتقين فمودة بينهم في الحياة الدنيا فقط، أما يوم القيامة فحالهم كما قال الله – عز وجل – : **(وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ)** [العنكبوت:٢٥].

فيا أخي الحبيب، اختر لنفسك أي الطريقين شئت، وأنا واثق كل الثقة أنك لن تختار لنفسك طريقًا تعلم أن فيه العطب في الدنيا والآخرة؛ فإن العاقل لا يختار لنفسه إلا أسلم الطرق وأحسنها.

* * *

لماذا لا تلتزم بدين الله؟

أخي الحبيب.. ما الذي يمنعك من الالتزام الكـــامل بدين الله – عز وجل – وشرعه؟!

أنت –مثلاً– تحب أن تكون جميل الثياب، جميل السيارة، جميل المظهر، نظيفًا... فهل تظن أن التزامك بالدين يمنعك من ذلك؟! كلا، لا يمنعك، فالله تعالى **"جميل يحب الجمال"**، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه الإمام مسلم في صحيحه(١٣).

وها هم أولاء أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان أحدهم يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة، ويقرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – على ذلك؛ بل كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يرتاح للمظاهر غير النظيفة، فقد روى أبو داود وغيره عن جابر – رضي الله عنه – قال:"أتانا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرأى رجلاً شعثًا قد تفرق شعره، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: **أما كان هذا يجد ما يسكن به شعره!!** –أي من دهن ونحوه–، قال: ورأى رجلاً آخر، عليه ثياب وسخة، فقال – صلى الله عليه وسلم –: **أما كان يجد ماءً يغسل به ثوبه!!**"(١٤)

وعن أبي الأحوص – رضي الله عنه – قال: "أتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في ثوب دون[١٥]، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: **ألك مال؟** قلت: نعم. قال: **من أي المال؟** قلت: قد آتاني الله من الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: **فإذا آتاك الله مالاً، فَلْيُرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته**"[١٦]، وقال: **"إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"**[١٧].

ولما ذهب ابن عباس رضي الله عنهما ليناظر الخوارج ويجادلهم، لبس أحسن ما يكون من حلل اليمن –كما يقول–، وكان – رضي الله عنه – رجلاً جميلاً ضخمًا جهير الصوت، فلما جاء إليهم، قالوا له: مرحبًا بك يا ابن عباس، ما هذه الحلة؟! قال: ما تعيبون عليّ؟! لقد رأيت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحسن ما يكون من الحلل[١٨].

أخي الشاب.. أخي الحبيب، لا أحد يعترض عليك في جمال لباسك، ولا في نظافة سيارتك، ولا في حسن حذائك، ولا في بهاء مظهرك، مادام ذلك كله في حدود المباح؛ فأنت –بحمد الله– لم تلبس ثوبًا من حرير، وكيف تلبسه والرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول: **"من لبس الحرير في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة"**[١٩]، ويقول – صلى الله عليه وسلم – وقد خرج ومعه قطعة من حرير وقطعة من ذهب: **"إن هذين محرم على ذكور أمتي حل لإناثهم"**[٢٠]؟!

وأنت –بحمد الله– يا أخي لم تلبس ثيابًا شفافةً، لا تستر، وليس تحتها ما يستر؛ لأنك تعلم أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: **"احفظ عورتك، إلا من نفسك أو ما ملكت يمينك"**[٢١]، والله تعالى يقول **﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾** [الأعراف:٣١]. وأنت –بحمد الله– لم تلبس ثوبًا صنع لغيرك، وأنَّى لمثلك ممن مَنَّ الله عليهم بالرجولة والمروءة أن يلبس ثوبًا صنع لغيره، سواء أصنع لكافر، أم صنع لامرأة. وأنت –بحمد الله– لم تخرج إلى حد الإسراف والبذخ في لباسك!!

إذن أخي الكريم: البِس، واركب، وتنظف، وكُلْ، واشرب، وتصدق، من غير إسراف ولا مخيلة[٢٢]، وتنبه إلى أن النظافة وحسن المظهر لا يحتاجان إلى كبير جهد، ولا إلى طويل وقت، فليس مطلوبًا من الشاب أن يصرف الساعات في تسريح شعره أمام المرآة، أو في تصفيفه أوتقصيصه على أنماط غريبة، لدى أماكن الحلاقة وغيرها، أو في غسل ثيابه وكيِّها، وتنويعها والتفنن

في تبديلها... كل هذا ليس مطلوبًا؛ وإنما المطلوب قدر معتدل من النظافة والعناية؛ يكون به الرجل نظيفًا، حسن المظهر، متمتعًا بنعمة الله بين الناس، دون أن يفضي به ذلك إلى غلو، أو تبذير، أو إهدار وقت في ما لا فائدة فيه.



لا نريد أن نكون منافقين..!

أخي الكريم، أنت تحب الرياضة، وتلعب الكرة مع زملائك، وتقضي وقتًا غير قليل في ذلك، فهل ترى أن تبخل على نفسك بدقائق تقضيها في المسجد، أو في حضور محاضرة، أو مع بعض الرفقة الصالحين؟!

ألا تبذل من وقتك ساعة، أو نصف ساعة، أو ربع ساعة، تسمع فيها كلمة قد ينفعك الله بها؟! فقد تكون الكلمة التي كتب الله سعادتك بها لم تسمعها حتى الآن؛ فإذا وجدت -يا أخي- متحدثًا بخير فاستمع إليه، فربما يصل كلامه إلى قلبك، واحذر من حيل الشيطان التي يُلَبِّس بها على الشباب: فإن كثيرًا من الشباب إذا دعوتهم إلى الخير قالوا: "نحن لا نريد أن نكون منافقين"، ونحن نوافق أولئك الشباب على أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وأن المنافق أشد كفرًا من اليهودي والنصراني.. ولكن، كيف يفهم أولئك الشباب معنى النفاق؟!

بعض الإخوة الشباب يقول: ليس صحيحًا أن أجلس اليوم على مدرجات الكرة، ومعي الطبل، وأن أستمع إلى الأغاني، وأفعل الحرام.. ثم آتي غدًا أصلي في المسجد، أو لأجلس في حلقة،

أو لأقف مع شباب ملتزمين بالدين.. هذا نوع من النفاق!!

هكذا يتصور ويظن بعض الشباب!! وهذا خطأ كبير، وضحكة من إبليس على أولئك الإخوة؛ فإن عكس فهمهم هو الصواب، يقول الله تعالى: **(وَأَقِمِ الصلاةَ طَرَفَيِ النهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَيْلِ إِن الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السيئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذاكِرِينَ)** [هود:١١٤]، كان الأولى بك –أخي الشاب– أن تدعو نفسك إلى ترك المعصية؛ حتى تكون مستقيمًا؛ وتكون حياتك كلها برًا، وصلاحًا، وصحبةً للأخيار، واعتيادًا للمساجد..، لكن إن عجزت عن ذلك فإنه يجب عليك أن تصر على فعل الخير، والتزام الطاعة؛ رجاء أن يوفقك الله تعالى للتوبة، وأن يكتب لك من الأجر ما يرجح ميزان حسناتك.

أما أن يترك الإنسان الطاعات، كالصلاة، وصحبة الأخيار، وحضور دروس القرآن، وحلقات العلم؛ بحجة أنه يقول: أنا مقيم على معاصٍ، لو علم بها هؤلاء الشباب الأخيار؛ لتركوني، ولأعرضوا عني.

أقول: حين يقول الإنسان ذلك، فإنه يكون قد اختار بنفسه– والعياذ بالله– طريق النار؛ لأن ترك الطاعة، والإقبال على المعصية هو طريق النار، فالمعاصي الصغيرة قد تجتمع على الرجل حتى توردِه جهنم.

لا يشقى بهم جليسهم

أخي الكريم، إن مجرد صحبتك للأخيار، وجلوسك معهم، وحبك لهم _ قد يكون سببًا في شمول الرحمة لك؛ ففي الحديث الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "**إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً، يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء.** قال: **فيسألهم الله –عز وجل- وهو أعلم بهم-: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك؟ قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك.** قال: **فيقول: قد غفرت لهم، فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا.** قال: **فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم.** قال: **فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**"(٢٣).

احذر المجاهرة بالمعصية

أخي الحبيب، هل تريد أن تكون مجاهرًا بمعصيتك، حين تركت صحبة الشباب الملتزمين، وقلتَ: لا أريد أن أكون من المنافقين؟! هل تريد أن تعلن معصيتك، حتى يتكلم عنك الناس، ويعرفونك بالذنوب؟!

لا.. لا يصح هذا يا أخي أبدًا؛ فإن كونك تبتلى بمعصية في السر والخفاء، وتدعو الله ألا يفضحك في الأرض ولا يوم العرض _ هذا شيء؛ لكن كونك تعلن المعصية على الملأ، وتتبجح بها _ شيء آخر؛ فأمر المجاهرة خطير، ولذلك يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : **"كل أمتي معافى، إلا المجاهرين"**[٢٤].

- وإن من المجاهرة بالمعصية: أن ترفع صوت مسجل سيارتك بأغنية من الأغاني؛ حتى يسمعها الناس من قريب ومن بعيد، وتمر بسيارتك مستعرضًا، وكأنك تقول للناس: أنا أستمع إلى أغنية، وإن كان الله تعالى قد حرمها.

- وإن من المجاهرة: أن يفخر المرء بالمعصية أمام زملائه وأصدقائه؛ فإن بعض الشباب إذا اجتمعوا أخذ بعضهم -ممن ليس عنده دين

ولا حياء- يحكي لجلسائه ما فعله من منكرات وجرائم ومغامرات، فيصف لهم مثلاً كيف أوقع امرأة في الحرام، وكيف شرب المسكر، وكيف سافر للرذيلة، وكيف سرق، وكيف.. وكيف..، وهذا الصنف من الناس يُخشى ألا يغفر الله له إلا أن يتوب.

- ومن الخبث العظيم أن بعض الشباب إذا سمع زملاءه يجاهرون بذنوبهم؛ أخذ يختلق[٢٥]، ويفتعل قصصًا ومغامرات وجرائم مكذوبة؛ لكي يجاري أصحابه فيما يقولون، فيذكر – مثلاً– أن له أسفارًا مريبة، وعلاقات محرمة، وصداقات مشبوهة، وفعلات قبيحة –والعياذ بالله–، وهذا وإن لم يكن أعظم إثمًا ممن فعل المعصية وجاهر بها؛ إلا أن إثمه أيضًا عظيم.

- إنَّ المؤمن إذا وقع في زلة، أو جرت قدمه إلى معصية؛ فإنه يكون حاله: من التأسف والندم، وصدق التوبة _ كحال الصحابي ماعز بن مالك الأسلمي – رضي الله عنه –، الذي ظل بعدما وقع في الزنا لا يذوق لذيذ النوم، ولا يهنأ بعيش، حتى أتى إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: "يا رسول الله، زنيتُ فطهرني"، ويردد ذلك على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

حتى يقيم عليه الحد، ويتطهر ماعز من ذنبه، بصدق التوبة إلى الله، حتى قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "لقد تاب توبة لو قُسِّمت على أمة لوسعتهم"(٢٦).

- المؤمن الذي يعلم أن الزنا فاحشة، لو جرَّه الشيطان إلى معصية؛ فإنه يفعل كما فعلت المرأة الغامدية، التي ما زالت برسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى أقام عليها حد الزنا، بعد سنتين وتسعة أشهر من وقوع الجريمة(٢٧).

- المؤمن يحرق الندم قلبه؛ بسبب معصيته.

- المؤمن إذا أذنب استغفر وأناب، وعزم على عدم الرجوع إلى الذنب، وأكثر من فعل الطاعات والقربات: من صدقة، واستغفار، وذكر وصلاة، وصلة رحم، وبر بالوالدين... قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** [آل عمران:١٣٥].

وأما المجاهر الذي يعلن أمام الناس أنه فعل من الآثام والموبقات كذا وكذا، ويفتخر بذلك؛ فكأنه لا يؤمن بقول الله –عز

وجل– : **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾** [الإسراء:٣٢].

- ألا وإن هناك أناسًا ممن طمس الله على قلوبهم، ومسخ أفئدتهم ــ يصل بهم القبح والبشاعة والفجور إلى أن يصوروا معاصيهم على أشرطة مرئية، وغرضهم من ذلك عدة أمور، من أهمها: توريط الأطراف الأخرى في الجريمة؛ حتى يضمنوا ألا يتوبوا؛ ولذلك فإن كثيرًا من الشباب يريدون أن يتوبوا، لكن أصحابهم السيئين يحاولون منعهم من التوبة؛ وذلك بتهديدهم ببعض الصور والأفلام التي عندهم، التي قد يروجونها ويبيعونها؛ ليحصلوا من ورائها على المال.

وهؤلاء –والعياذ بالله– بلغ بهم الانحطاط والوقاحة والضلال مبلغه، حتى إنني لا أجد لهم وصفًا إلا أنهم تشبهوا بأعداء الله؛ من الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، الذين عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، فغاية ما يطمح إليه أحدهم أن يتمتع بشهوة عابرة، ولا يهمه بعد ذلك، أن يكون مصيره إلى النار، وبئس القرار.

يجب أن نفرق

أخي الكريم، يجب أن نفرق بين العاصي المؤمن، والعاصي الفاجر.

- فالمؤمن يحزن لمعصيته، يندم، يتقطع حسرة، يسُحّ دموعًا لا عداد لها، على ذنوب بارز الله تعالى بها، على لحظات غفل فيها عن ربه، فوقع في معصية، أو زلة، أو خطيئة، أو نظرة، أو حركة.. أما الفاجر، فإنه يمضي في غيِّه، لا يرعوي، وإنما يطلب المزيد من الآثام؛ لأنه أصبح يتلذذ بالمعاصي، ولا يحزن منها.
- المؤمن دائم الاستغفار والتوبة، كلما عصى الله تعالى وضع جبهته على الأرض، وقال: يارب، إني أذنبت، فاغفر لي.. أما الفاجر فإنه لا يستغفر ولا يتوب؛ بل يعرض عن الله تعالى، ويغفل عنه، ولا يبالي بآيات الله، وبأوليائه وحزبه الصالحين.
- المؤمن يتستر في معصيته، فإذا غلبته نفسه وهواه والشيطان فعصى الله –عز وجل– حاول ألا يعلم أحد بذلك؛ ليكون

الأمر سرًّا بينه وبين ربِّه.. أما الفاجر فإنه يعلن معصيته، ويفخر بها بين الناس، كأنه يقول: ها أنذا قد عصيت ربي، كأنه يتحدى الله تعالى، والله جل وعلا بالمرصاد لكل من بارزه بالمعاصي، يفضحه في الدنيا، ويفضحه على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

- المؤمن –وإن عصى– فإنه يحب الطائعين، ويواليهم، ويتمنى أن يكون مثلهم، ويبغض العاصين، وينفر منهم.. أما الفاجر فإن ولاءه وحبه وقلبه مع أهل المعصية والفساد، فإذا رأى رجلاً عليه علامات الخير والصلاح أعرض عنه، وأشاح عنه بوجهه، وربما أغمض عينيه، وربما طأطأ رأسه؛ بل ربما أطلق بعض الكلمات التي تدل على كراهيته لذلك الصالح.
- المؤمن –وإن عصى الله– لا يسخر من المطيعين المستقيمين، لا يسخر من الذين يتركون الربا –كما يسخر منهم الذين يقولون: إنهم لا يحسنون البيع والشراء!!–، ولا يسخر من الذين يتركون الزنا –كما يسخر منهم الذين يحسبون أن المطيعين ليس في قلوبهم شهوات!!–...[٢٨] كلا، إن في نفوسهم من الهوى، ومن الشهوات للمال ولغيره _ مثل ما

في نفس العاصي؛ بل ربما أكثر، ولكنهم ألجموا نفوسهم؛ بلجام الخوف من الله -عز وجل- فنهوا النفس عن الهوى؛ لأنهم ينتظرون ما عند الله جل وعلا، قال الله تعالى: **(فَأَما مَن طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِن الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى، وَأَما مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِهِ وَنَهَى النفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِن الْجَنةَ هِيَ الْمَأْوَى)** [النازعات:٣٧-٤١].

***

ما يمنعك؟

أخي الكريم، هل يمنعك زملاؤك الذين تصحبهم من الخير والاستقامة؟

إن كان زملاؤك كذلك فلا خير فيهم؛ فإن كل شيء حال بينك وبين الله -عز وجل-، فهو شر يجب عليك أن تبتعد عنه.

وإن كانوا لا يحولون بينك وبين الطاعة، فحيّهلاً[٢٩] ومرحبًا بهم، وعليك أن تعمل على دلالتهم على أماكن الطاعة، وجذبهم إلى مناسبات الاستقامة[٣٠] -بقدر ما تستطيع-؛ عسى الله أن يكتب لك أجر استقامتهم وصلاحهم.

***

قضية الشهوة

لعل من أكثر ما يزعج الشباب، ويقلقهم، ويدعوهم إلى الوقوع في بعض المعاصي "قضية الشهوة".

الشهوة التي تدعو إلى النظر: النظر إلى النساء، أو النظر إلى المردان، أو النظر إلى الصور في الأفلام والمسلسلات والمجلات، وغيرها.

وهذا النظر مدعاة إلى العشق؛ بحيث يتعلق القلب بهذه الوجوه والصور، وتصبح كل همه، وغاية قصده؛ حتى يشتغل بها عن الله –عز وجل–، وبذلك يكون الإنسان قد مشى إلى الشرك بالله تعالى، قال الله تبارك وتعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)** [البقرة:١٦٥]، يحبونهم كحب الله.. إلى هذه الدرجة –والعياذ بالله–، حتى إن أحد العشاق يقول في معشوقته:

لا تدعني إلا بـ (يا عَبْدَها)
فإنــه أشــرف أسمائــي

هكذا يعد عبوديته لهذه المعشوقة، هي أشرف أسمائه التي يدعى بها.

ويقول آخر يخاطب معشوقًا له يسمى "أسلم":

أسلــمُ يا راحــة العليــل
ويا شفــاء المدنــف[٣١] النحيل
وَصْلُــكَ أشْهَى إلى فــؤادي
من رحمــة الخــالق الجليــل[٣٢]

انظر –والعياذ بالله– كيف استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير!! فهو يقول: إن اجتماعي بك ألذ وأشهى عندي من رحمة الله! قال هذا الكلام وهو في مرض الموت، أحوج ما يكون المرء إلى رحمة الله، ولكن عشقه غلب على قلبه وتمكن منه، حتى أودى به إلى هذه الحال، عياذًا بالله! وأين هو الآن؟ إنه في قبره، قد بلي جسده، ولعبت به الديدان، وتحول إلى كومة من تراب، وأصبح مرتهنًا بعمله، لكن.. لازالت الأجيال تحفظ هذا الكفر البواح الصراح الذي قاله.

ولو لم يكن من مضار العشق، والتعلق بالصور، والاشتغال

بها، وانخداع القلوب بحبها إلا أنها تحول بينك وبين الله، لكفي بهذا عيبًا وداءً؛ ولذلك فإن الله تعالى يعذب العاشق بمعشوقه، كما قيل: "من أحب غير الله؛ عُذِّب به".

كم من إنسان أحب إنسانًا، وتعلق به؛ فكان سببًا في شقائه في الدنيا والآخرة، تركه محبوبه وأعرض عنه، أو مات؛ فعاش بعده كسيفًا حسيرًا، حزينًا معذبًا، وفي الآخرة هو مرتهن بما عمل، من امتلاء قلبه بحب غير الله تعالى : **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)** [البقرة:١٦٥]، وهذا حب عبادة، وشرك بالله تعالى في المحبة.

إن حال أولئك المبتلين بالعشق حال سيئة مُرَّة، ألم تر إلى السقم والمرض في وجوههم؟! ألم تر الصفرة والكدر والظلمة تغشاهم؟! حتى كأن وجوههم ما أشرقت قط بكلمة التوحيد: "لا إله إلا الله "، كأنها ما ذاقت طعم القرآن، كأنها ما خشعت يومًا لله – عز وجل –، كأنها ما بكت من خشية الله تعالى، كأنها ما عفرت جباهها في التراب ساجدةً ذلاً بين يدي الله تعالى؛ فضرب الله

تعالى على تلك الوجوه ظلامًا يغشاها، ظلامًا كقطع الليل، وهذا الظلام في الدنيا هو آية الظلام في الآخرة، فإن المسيئين تكون وجوههم في الآخرة مظلمة مغبرة، كما قال الله –عز وجل– : **(وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** [يونس:٢٧]، وكما قال سبحانه: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ)** [عبس:٣٨-٤١]. هذا فضلاً عن المرض والضرر في البدن؛ فإن العشق يؤدي بالعاشق إلى الاعتلال وتدهور الصحة، بل ربما أدى به إلى الموت، فكثير من الذين يُبتلَوْن بهذا المرض يموتون بسببه، وهو موت في غير سبيل الله –عياذًا بالله تعالى–، ومما يدل على كثرة موتهم، أن جماعة من العلماء ألَّفوا في مصارع العشاق(٣٣).

* * *

قضية الوقوع في فاحشة "اللواط" (٣٤)

واللواط- والعياذ بالله- من كبائر الذنوب، بإجماع العلماء، وقد قال الله تعالى: **(إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا)** [النساء:٣١]، فالكبائر لا يكفرها إلا التوبة؛ وعلى ذلك فاللواط من الذنوب التي تحتاج إلى توبة، فإن لم يتب فسيلقى صاحب هذه الكبيرة ربه يوم القيامة بها.

وقد عاقب الله -عز وجل- قوم لوط - عليه السلام - بالعقوبة الفظيعة؛ حيث رفع قراهم -قرى سدوم(٣٥)- حتى سمعت الملائكة صياحهم، وأصوات حيواناتهم، ثم قلبها عليهم، ثم أمطر عليهم حجارةً من سجيل منضود، **(مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)** [هود:٨٣].

- فكل من فعل مثل فعلهم فإن الله تعالى يمسخ قلبه، ويعمي بصيرته، ويعاقبه العقوبة الشديدة؛ ولهذا إذا لم يسرع الذي وقع في اللواط بالتوبة، فإنه قد يحال بينه وبين التوبة. وقد أشار الإمام ابن القيم في كتابه: "الجواب الكافي" إلى أن المبتلى باللواط قد تصعب عليه التوبة، ولو تاب فقد تبقى في قلبه آثار

كثيرة من السوء، إلا من رحم الله.

إن اللوطي إذا لم يتدارك نفسه عاجلاً غير آجل، فإنه يمرض قلبه، وتُمسخ مشاعره وعواطفه، فهو شاذ منتكس الفطرة، لا يتلذذ بالحلال؛ بل بما حرمه الله، ويغدو هذا الحرام بعد تورطه فيه وبالاً عليه، ويصبح غمًا وهمًا يجثم على قلبه؛ فلا يهنأ له عيش، ولا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال، فحاله كحال شارب الخمر الذي يقول:

وكـأس شـربت على لـذة
وأخـرى تداويت منها بها(٣٦)

هكذا يفر من المعصية إلى المعصية، ومن الإثم إلى الإثم، ومن الذل إلى الذل.

- إن هذا الذنب العظيم، سبب في مقت الإنسان، وهوانه على الله، فإن الله -عز وجل- إذا نظر إلى عبده، وهو يواقع تلك المعصية المقيتة الخبيثة العظيمة؛ فإنه يمقته، ويبغضه.

ولقد توعد الله تعالى أقوامًا بألا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم؛ على ذنوب أقل جرمًا من هذه الجريمة، ولهم عذاب أليم(٣٧)، فما يؤمن صاحب هذه الفاحشة القبيحة أن يكون من

هؤلاء المبعدين عن الله، بسبب لذة مؤقتة، وشهوة عابرة، كان بإمكانه أن يقاومها؛ بأن يبتهل إلى الله – عز وجل –، ويتضرع إليه أن ينقذه. وما عودنا الله تعالى أن يرد مبتهلاً، أو يخيب راجيًا قط، فما من عبد انطرح بين يديه، وانكسر أمامه، وبكى بقلب صادق؛ إلا رفعه الله ونفعه، وأجاره مما يخاف.

- وفوق العقوبة الأخروية أن اللوطي قد يُبتلى في نفسه، بعقوبة دنيوية، تعجل له، ولعل من ذلك ما نسمع عنه اليوم من الأمراض الجنسية الفتاكة التي تصيب أصحاب الشذوذ الجنسي، تلك الأمراض الخبيثة التي أعلن الطب عجزه عن علاجها، مثل: (الإيدز، والهربس، والكلاميديا) وغيرها من الأمراض القديمة، مثل: (الزهري، والسيلان)، وغيرهما من الأسقام التي تنجم عن العلاقات الجنسية المحرمة، وبخاصة الشاذة[٣٨].

* * *

العادة السرية

كثير من الشباب يقعون فيما يسمى بالعادة السرية، وهي الاستمناء باليد أو غيرها، والوقوع في هذه العادة له أسباب، منها:

١- **تأخير الزواج:** فكثير من الشباب لا يقدمون على الزواج المبكر، بسبب عقبات كثيرة قد تواجه الشاب في بيته أو مجتمعه، أو غير ذلك.

٢- **ضعف الوازع الديني:** فإن ضعيف الإيمان، كلما تحركت في نفسه شهوة أو نزوة، سارع إلى قضائها، وأما قوى الإيمان، فإن عنده الصبر والعفة، والخوف من الله تعالى؛ فينهى النفس عن الهوى.

٣- **الشَبَق[٣٩] والإثارة الجنسية:** حيث إن الرجل إذا شاهد ما يثيره، سواء رأى امرأةً، أو صورةً، أو غير ذلك، فإنها تولد لديه ما يسمى بالشبق والإثارة.

٤- **التعود:** فإن الشاب إذا وقع في العادة السرية بعض المرات؛ فإنها تصبح عادةً –كما سميت– ويصبح الشخص يفعلها،

وإن لم يكن هناك دافع كبير لها، ولكن بمقتضى العادة التي هيمنت عليه؛ بل إن بعضهم -والعياذ بالله- بعد أن يتزوج، وييسر الله له الحلال؛ لا يجد لذة إلا في ممارسة هذه العادة الشائنة.

٥- أنها تتحول -مع التعود- من قضاء للشهوة إلى رغبة في تحصيل اللذة: ذلك أن الشاب يفعل هذه العادة أول مرة؛ ليتخلص من الشهوة التي تفور في جسده كالنار، لكنه بعدما يعتادها يصبح يفعلها لمجرد تحصيل اللذة -وإن لم يكن هناك شهوة تتأجج في جسمه-.

٦- الخلوة والانفراد: وبخاصة الذين يكثرون من مشاهدة الصور المحرمة، فإن أحدهم إذا خلا وانفرد بدأت الصور التي سبق أن رآها تعود إلى ذاكرته، ويستعرضها ذهنه، وتتراقص في عينيه؛ ثم يدعوه ذلك إلى الوقوع في العادة السرية.

فإلى كل شاب وقع في هذه العادة وأصبح أسيراً لها متشوفاً إلى الانعتاق منها أقول:

أنت قادر على ذلك، وتملك جميع الوسائل لإصلاح نفسك،

وإياك أن تعتقد أن محاولاتك السابقة الفاشلة أفقدتك القدرة، فإن الشيطان يريد منك أن تصل إلى مرحلة اليأس من صلاح حالك، وعند ذلك تفرح عدوك على نفسك.

اسلك منهجاً رشيداً في التغيير، فأنت وصلت إلى هذا المنحدر بالتدرج، فالصعود إلى القمة سيكون بالتدرج أيضاً، غير حالك ونظامك في جميع ساعات الاستيقاظ، ارتبط بعمل يشغل وقت فراغك سواء في أمر دين أو دنيا، صارح نفسك، وخاطب عقلك: كم مرة فعلت هذه الفعلة، وكانت البداية شهوة فأصبحت عادة مالكة لك تقوم بها بلا لذة، أصبحت عبداً لها، كنت تمارسها وأنت ثائر تغالبك الشهوة، واليوم صارت عادة تسيرك فتمارسها ثم تدفعك إلى مثلها، وهكذا تدور في حلقة مفرغة.

أخي أراك تسكب الزيت على النار، وتقول: لماذا تشتعل هذه النار، كيف تقوم باستدعاء المواقف والصور من خيالك وأرشيف عقلك وتتلذذ بذلك فيعظم سلطان الشهوة ويثور بركان الرغبة لهذه الفعلة، —سبحان الله– ما هكذا يكون العلاج إذا مر بخاطرك مشهد يؤثر عليك فاقطع حبل الخيال، وقم

واخرج من المكان، واعمل ما يصرفك كأن تتصل بالهاتف أو تخرج بالسيارة، غض بصرك عن النظر إلى الصور والأشكال المثيرة للشهوة، ولا تغشى المواقف التي تستثار فيها شهوتك كالأسواق، وأمام المدارس، أو في مدرستك، أو في المناسبات، احرص على قراءة القرآن، وطول المكث في المسجد، والمبادرة إلى الصلاة، وكثرة زيارة المقابر وتشييع الموتى، وحاول أن تربط نفسك بالصالحين من عباد الله الذين تجد في أخلاقهم حسن التعامل والجد في الحياة. أكثر من ذكر الله في خلوتك، وصل على محمد –صلى الله عليه وسلم–، وأكثر من ذلك.

وهناك وسائل خاصة جداً:

لا تأوِ إلى الفراش إلا إذا غلبك النوم، ولا تجلس في الحمام إلا بقدر الحاجة، ولا تنم إلا على طهارة وعلى جنبك الأيمن، ولا تنم على بطنك، وابتعد عن جميع الكتب والمجلات والصور التي تذكر بما يثيرك، وإياك والتحدث للآخرين عن عملك، واستتر يستر الله عليك.

وإني أختتم كلمتـــي إليك بآية من كتاب الله، وحديث من سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقد قال الله –تعالى–:

"قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوْا مِنْ رَحْمَةِ اللَهْ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيْعًا" [الزمر:٥٣]، بل يبدلها لك حسنات –إن صدقت توبتك–، "وَالَّذِينَ لا يَدْعُوْنَ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُوْنَ النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحقِّ ولا يَزْنُونَ ومَنْ يَفْعَل ذلكَ يَلْقَ أَثَاماً" إلى قوله "إلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالحاً فَأُولئكَ يُبدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ وكَانَ اللهُ غفُوْراً رَحِيْماً" [الفـــرقان:٦٨–٧٠].

وبقوله –صلى الله عليه وسلم–: "أَذْنَبَ عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال الله: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال الله –سبحانه–: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال الله: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت، فقد غفرت لك" أخرجه مسلم (٢٧٥٨).

حكم العادة السرية: في حكم استعمال العادة السرية خلاف بين أهل العلم، فمنهم من قال: إنها مباحة، وقال آخرون:

إنها مكروهة، وقال جمع: إنها محرمة، والراجح أنها مكروهة وعند الاضطرار إليها فهي في حكم المباح، لكن الإدمان عليها له عواقب سيئة.

وأشد أضرارها الضرر النفسي الذي يحسه الشاب بعد الوقوع فيها خصوصاً إذا كان من الصالحين الخيرين، فإنه يشعر بلوم نفسي شديد، واحتقار للذات، وكآبة مرّة، وربما أعقب ذلك وهن في العزيمة خصوصاً بعد تكرار محاولات الإقلاع عنها ثم الفشل في ذلك.

وهنا نذكر أنه حتى على القول بتحريمها فإنها ذنب كغيره من الذنوب تكفره التوبة والاستغفار، وينبغي ألا يستسلم الشاب للحزن واليأس ،والشدة على النفس في التقريع مما يعوقها عن كثير من سبل الخير بعد ذلك، والعجيب أن كثيرين يقعون في ذنوب هي أعظم من العادة السرية كالكذب في الحديث، والغيبة، والنوم عن صلاة الفجر... وهكذا، ومع ذلك لا يلومون أنفسهم بعض هذا اللوم، ولا يحسون بشيء من تأنيب الذات، بينما يتعاملون مع موضوع العادة السرية بحساسية مفرطة بحيث تؤثر على كثير من نواحي حياتهم السلوكية والدراسية والتعبدية.

والمطلوب وضع الأمور بحجمها الحقيقي، وقد جعل الله لكل شيء قدراً.



أحاديث هاتفية.. ثم..؟

صارحني أحد الشباب قال: كنت زمان الضياع والتيه والشرود عن الله تعالى لا أسلو عن جهاز الهاتف للمعاكسة أبدًا، وربما جلست عنده خمس أو ست ساعات متواصله في أحاديث الحب والغرام المكذوب المصطنع..، حتى إنني أحيانًا أستغرق نصف ساعة لتحديد الموعد القادم للمكالمة!

ومن الطريف أن آخر- وهو صاحب صوت رخيم- خادع واحدًا من هؤلاء، واستجره بصوت كأنه صوت أنثوي، وكان يضرب له مواعيد في ساعات متأخرة من الليل ليحرمه النوم.. ثم يخلفه ويتركه يتقلب على مثل الجمر..!

وبعضهم يسجلون هذه المكالمات؛ يفضحون بها أصحابها، ويحذرون الناس من تزويجهم، أو الثقة بهم، أو يهددونهم بها؛ ليمنعوهم من التوبة إلى الله تعالى.

ومع إدمان الجلوس على الهاتف تصبح عادة للإنسان كلما فرغ وخلا بنفسه بدأ يتصل بمن يشاء، وقد يتصل على أي رقم "للتجربة" ويؤذي الناس ويزعجهم بمثل هذا..، وما خطر في باله

أن قد يتعرض لدعوة من رجل صالح أو امرأة صالحة توبق دنياه وآخرته، فاللهم سلم سلم.

سبحان الله..! أين الإيمان بالله لدى شاب قوي مفتول مكتمل يسهر إلى الثانية والثالثة ليلاً، ليسمع صوت فلان أو فلانة.. ولا يصلي الفجر مع المسلمين، فضلاً عن قيام الليل؟!

وكم جر هذا الهاتف من بلاء.. فبعد المعاكسة والحديث موعد، ثم نظرة، ثم كلمة، ثم لقاء، ثم خلوة ثم..؟! وقد نبأنا الله من أخبار بعض هؤلاء بما تشيب له الرؤوس! والعجب كله من شباب وفتيات يتساهلون في الأمر، ويقولون الأمر لا يعدو أن يكون كلامًا فقط.. وهل نسيتم أن الحرب مبدؤها كلام؟؟ وأن الكلام سبب إلى العاطفة المتبادلة؛ ومن ثم يفتح الباب على مصراعيه؟ ثم العجب من أولياء يمنحون أبناءهم وبناهم هواتف خاصة بهم في غرفهم دون أن يكون لهم جهد في تربيتهم، أو أن يكون لهم دور في مراقبتهم، مع أنه تظهر- أحيانًا- بعض القرائن التي تدل على سوء استعمال هذه الأجهزة!

* * *

بـركة الطاعة وشؤم المعصية

أخي الشاب.. أخي الحبيب، ألم تقارن مقارنةً سريعة بين بركة الطاعة وشؤم المعصية؟!

إن للطاعة نورًا، وعاقبةً حميدة في الدنيا والآخرة، وإن للمعصية ظلمةً، وعاقبةً سيئة، وآثارًا أليمة. فمن تلك الآثار:

١- حرمان العلم: ألم تر المعصية -يا أخي- سببًا في حرمانك من العلم؟!

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعـاصي

وأخـبرني بأن العـلم نـور
ونـور الله لا يؤتـاه عاصي(٤٠)

ألا تشاهد أخي أن الشباب المنحرفين متأخرون في دراستهم غالبًا، وربما يؤول الأمر بكثير منهم إلى ترك الدراسة، فإذا تركها قد يلتحق ببعض المجالات الأخرى، ثم لا يواصل فيها، وتركه للدراسة يجر له مشكلات أخرى، بسبب الفراغ، فيضيع مع

زملاء يقضي معهم كل وقته، ولا يصبح له مستقبل يهمه، أو يفكر فيه !!

بخلاف الشاب الطيب الصالح المستقيم، فإنك تجده- غالبًا بارزًا في دراسته، محبوبًا لدى مدرسيه. وقلما تجد شابا مستقيمًا يفكر في ترك الدراسة، وإن فكر في ذلك فهي مجرد خواطر تمر بذهنه، ولا يلبث أن ينفيها عنه؛ لأنه يعلم أن في دراسته خيرًا ومصلحةً لنفسه، ولأمته.

٢- الوحشة بينك وبين الله: الوحشة في قلبك، فإنك إذا عصيت الله استوحشت منه. كيف تدعوه وقد عصيته؟! كيف تسأله وقد عصيته؟! وهذا يجرك إلى معاصٍ أخرى، وإلى الإعراض عن الله تعالى.

أما المؤمن المطيع فإنه قريب من الله تعالى، فهو دائم الدعاء، دائم الابتهال إلى الله، دائم الأنس بالله، والذكر لله، يدخل باسم الله، ويخرج باسم الله، ويأكل باسم الله، ويشرب باسم الله، ويركب باسم الله.. وإذا أخطأ استغفر الله. وإذا سمع مناديًا ينادي للخير والإيمان، قال: سمعنا وأطعنا.

٣- الوحشة بينك وبين الناس: فإن العاصي كأن بينه وبين الناس حجابًا؛ تجدهم لا يحبونه، ولا يثقون به، ولا يطمئنون إليه.

بخلاف العبد المطيع لله، فإن الناس يألفونه، ويرتاحون إليه، ويفرحون برؤيته، ويثقون به، ليس بينه وبينهم وحشة؛ لأن الله جل وعلا وضع في قلوبهم محبته.

٤- تعسير الأمور: فالعاصي ربما سلك طريقًا فأغلق في وجهه؛ فإن أراد القبول في دراسة لم يقبل، وإن أراد الالتحاق بوظيفة لم يوفق، وإن اشتغل بتجارة فشلت، وإن أسس مؤسسة انهارت، وإن اشترى سيارة ربما صدمت وتلفت.. وهكذا لا يكاد يتجه إلى أمر إلا وجد الأبواب موصدةً أمامه؛ لأن الله إذا أبغض العبد عسر أموره، ومنعه.

وقد يكون هذا التعسير خيرًا، ففي كل مرة تفشل فيها تذكر أن هذا العمل يقول لك: انتبه.. انتبه، غيِّر الطريق.. غيِّر الطريق، إنك على خطأ.. إن طريقك هذا ليس في مصلحتك لا في دنيا ولا آخرة.

***

خطورة الإصرار على المعصية

أخي الحبيب، إنك إذا داومت على فعل المعصية؛ فإنك بعد حين لن تستقبحها، بل ستصبح لك عادةً تستحسنها، وتصير من الذين قال الله تعالى فيهم: **(أفمنْ زُينَ له سوء عمله فرآه حسناً فإنّ الله يُضِلّ من يشاء ويهدي من يشاء)** [فاطر:٨]. ويكون ذلك سببًا في هوانك عند الله، وسقوطك من عينه سبحانه، وأخيرًا ربما كان سببًا في أن يطبع على قلبك، قال الله تعالى: **(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** [المطففين:١٤]، فإذا طبع على قلب الإنسان كان من الغافلين، وأصبح لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، حتى لربما ارتكب أبشع وأفظع الجرائم وهو يضحك، ولا يبالي، كأنه حيوان.

وإليك قصةً تبين أثر الإصرار على المعاصي في موت القلب، وهي أن فتاة عمرها عشرون سنة، جاءت إلى إحدى المستشفيات وهي حامل، فوضعت مولودًا كان بأتم صحة وأحسن حال، ولكن هذه الفتاة كانت في قلق شديد، وارتباك ظاهر، كانت مسودة الوجه، كثيرة البكاء.. فلما طلبوا منها أن تبعث إلى وليها ليخرجها من المستشفى، ارتبكت، وبكت بكاءً مرًا مستمرًا، حتى كاد يغمى عليها من شدة البكاء. فانفردوا بها في غرفة مستقلة،

وسألوها عن الأمر، وبعد جهد جهيد، قالت لهم بصوت متقطع: إن والد هذا الطفل هو أبوها نفسه!!

أي أن الوقاحة والجرأة على المعاصي بلغت بأبيها أنه كان يتعاطى المخدرات، ثم يقع على من بحضرته، سواءً أكانت أجنبية، أم ذات مَحرم، أم غير ذلك، وربما كان وقوع هذا الأب الخبيث على بنته وهي نائمة. ما أبشع هذا الذنب!! ما أفظع هذا الأمر!! والله لو قيل لنا: إن هذا الأمر وقع في الأمم السابقة لاستفظعناه، ولقلنا: "إنا لله وإنا إليه راجعون"، ولو بلغنا أنه وقع في بلاد الكفر والإباحية الحديثة لاستعظمنا ذلك واستبشعناه... فكيف إذا علمنا أن مثل هذا الفجور العجيب، يحدث من قوم ربما نطقوا يومًا بالشهادتين –بأفواههم– وربما سمعوا آيات الله تتلى، ثم انسلخت قلوبهم منها، ومسخت إلى هذا الحد، حتى أصبح أحدهم لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

أخي العزيز، لا تستبعد مثل هذا الجرم الكبير، لا تقل: هذا بعيد عني؛ فربما كانت بداية هذا الوحش الكاسر الذي وقع على بنته شَرْبةً من خمر، أو نظرة خائنة، أو أغنية سمعها، أو تمثيلية شاهدها.. ثم مازال يُغْرِق في العصيان والفجور شيئًا فشيئًا، حتى وصل إلى الحضيض. وفي المثل الصيني: رحلة ميل تبدأ بخطوة واحدة!

كفى بالموت واعظًا

أخي الكريم.. أخي الحبيب، هل تذكرت أن هذه الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، وأن لنا ولك موعدًا لن نُخْلَفَه أبدًا؟!

ألم يدر ببالك يومًا من الأيام أن تذهب في زيارة قصيرة إلى تلك الدور التي هي في ازدياد؟!

أتيـتُ القبـور فناديتـها
فأيـن المعظـم والمحتقـر؟
وأيـن المُـدِل بسلطانـه؟
وأين العظيـم إذا ما افتخر
تنـادوا جميـعًا فلا مُخـبِرٌ
وماتوا جميعًا وأضحوا عِبَر

ألم تر القبور؟! **"زوروا القبور؛ فإنا تذكركم بالآخرة"**(٤١) –كما يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

قف بالمقابر وانظر، وتأمل؛ كم من الأمم والأجيال، والقرون الغابرة، قد دفنت وانتهت، وأنت على الأثر!

كنت يومًا أعظ بعض الشباب من الطلبة، فقلت لهم: تأملوا

أيها الإخوة، أنتم أربعون في هذه القاعة، وبجواركم في القاعة الأخرى مثل هذا العدد، وهكذا في القاعات الأُخر، فلو نظرنا في هذه الأعداد الكبيرة وتأملنا، هل ترون أنه لم يكتب أن يموت منا في هذه السنة أحد؟!

وسبحان الله!! كان من بين أولئك الطلبة الذين أحدثهم شاب لم يمر عليه قرابة أسبوع إلا ذهب للسباحة مع بعض زملائه، وغرق وتوفي، وما أصدق قول الشاعر:

فسبحان من يُحيي ويُفني وتخلُفُ الـ
دهـورَ دهـورٌ والأنامَ أنـامُ

وقول الآخر:

لكـل أنـاسٍ مقـبر بفنـائهـم
فهم ينقصـون والقبـور تزيـد
وكائن ترى من دار حي قد اقفرتْ
ودارٍ لميـت بالفنـاء جـديـد
هـم جيرة الأحيـاء أما محلهـم
فـدانٍ وأمـا الملـتقى فبعيـد

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يكثر ذكر الموت حتى عرف ذلك عنه؛ فكان الشعراء إذا ألقوا بين يديه القصائد لا يُلْقُون شعر المديح والإطراء والتفخيم، الذي اعتاد أن يسمعه الملوك والسلاطين، بل يلقون بين يديه قصائد الوعظ، فكان من ذلك قول الأعشى[٤٢]:

وبينما المرء أمسى ناعمًا جـذِلاً
في أهله معجبًا بالعيش ذا أنق
غِرا أتيح له من حَيْنـه عرضٌ
فما تلبث حتى مات كالصعِق
ثُمتَ أضحى ضُحىً من غب ثالثةٍ
مقنعًا غيرَ ذي رُوح ولا رمق
يُبكى عليه، وأدنـوه لمظلمـة
تُعْلى جوانبُها بالتـرب والفلق
فما تزود مما كـان يجمعـه
إلا حنوطًا وما واراه من خِرَق!

وغير نفحة أعوادٍ تُشَبّ له!

وقـل ذلك من زادٍ لمنطـلِق!

فكان يبكي عمر رحمه الله حتى تبلل دموعه لحيته، ويقول: لمثل هذا فأعدّوا.

* * *

حسن الخاتمة وسوء الخاتمة

يقول مجاهد -رحمه الله-: "ما من ميت يموت إلا مُثِّل له جلساؤه"، أي أن جلساءك وأصدقاءك في الدنيا إذا جاءك الموت فكأنهم يجلسون بين يديك، إن كانوا طيبين أو سيئين؛ ولذلك نجد أهل العلم يتكلمون عن حسن الخاتمة وسوء الخاتمة كلامًا تشيب منه رؤوس الصالحين المتقين، أهل الصيام والقيام. فكيف بنا نحن المقصرين؟!

- فقد ذكر الإمام ابن الجوزي -يرحمه الله- في كتابه "الثبات عند الممات" أن رجلاً احتُضِر، فقيل له: قل: "لا إله إلا الله". فقال عن نفسه: إنه كافر بها. أي بكلمة لا إله إلا الله.

وقيل لآخر -وهو يحتضر-: قل: "لا إله إلا الله". فقال: حيل بيني وبينها، **(وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ)**[سبأ:٥٤].

وذكر ابن الجوزي أنه يعرف رجلاً اشتد به الألم، وزادت عليه المصائب، فافتتن، فكان يقول وهو في مرض الموت: لقد قلّبني -يعني ربه- في أنواع من البلاء؛ فلو أعطاني الفردوس لما

وفّى بما يُجـــري عليَّ، وأيش[٤٣] في هذا الابتلاء؟! هكذا يقـــول -والعياذ بالله- يخاطب ربه قائلاً: ما الفائدة من هذا الابتلاء يارب؟!! إلى هذا الحد بلغ به الجزع وعدم الصبر -نعوذ بالله من سوء الخاتمة-.

ويقول ابن الجوزي -أيضًا-: وسمعت آخر -وهو في مرض الموت- يقول: ربي يظلمني.

● وقصص سوء الخاتمة وأخبارها كثيرة في كتب الأوائل، وقد حدث من تلك القصص في الواقع الذي نعيشه شيء كثير كذلك، وهي نُذُر حية للمتمادين في العصيان، والبعد عن الله:

أذكر أن شابًا عمره عشرون سنة، سافر إلى إحدى دول جنوب شرقي آسيا، وكان يتعاطى مخدرًا يسمى (الهيروين)، ويزيد من الجرعات شيئًا فشيئًا؛ لأن هذا المخدر متوفر هناك، وهو شاب غني ثري. ومكث هناك ما يزيد على سنة ونصف، وبعد ذلك أحضر من هناك بالقوة، وأدخل (مستشفى الأمل) في إحدى المدن، فوجد الراحة في العلاج، وظل في المستشفى فترة طويلة، ثم علم زملاؤه الأشرار بحاله، فاتصلوا به، وأغروه بالخروج من المستشفى، فخرج منه، فاصطحبه أولئك الزملاء،

وفي أول جلسة له معهم أعطوه كمية كبيرة من المخدر، فتعاطاها؛ فمات في ساعته، نعوذ بالله من هذه الخاتمة.

وهناك قصة حدثني بها بعض العاملين في تلك البلاد حين زرتها، وهي أن رجلاً خليجيًا يزيد عمره على ستين سنة، جاء إلى تلك البلاد، بلاد الإباحية والرذيلة والفساد، واستأجر غرفة في أحد الفنادق، وأخذ يعب من الخمور عبًا؛ ففي اليوم الأول شرب ست قوارير، ثم أتبعها بثلاث، ثم ألحقها باثنتين، حتى شعر بالامتلاء، وأحس بوضع غير طبيعي، فذهب إلى دورة المياه؛ لكي يتقيأ، فسقط هناك، ولما أطال المكث فيها طرقوا عليه الباب، ثم فتحوه، فوجدوا الرجل ميتًا في أخس مكان، وإذا برأسه في مصرف المياه والنجاسات.

فسبحان الله!! ما أعظم الفرق بين هذه الميتة المحزنة المزعجة المقززة، وميتة الشهيد في سبيل الله، الذي تتلقاه الملائكة.. وتتلقاه الحور العين. يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم -: **"للشهيد عند الله تعالى ست خصال: يغفر له مع أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من**

الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه"(٤٤)

فسبحان الله ما أكبر الفرق بين الموتتين، ما أبعد الثرى من الثريا، مع أن كلاً منهما من البشر، وكلاهما مكلف.

وقصة أخرى حدّثني بها ثقة، وهي أن صديقًا له كان له أخ منحرف، يعتقد بالعقائد الخبيثة الكفرية من عقائد العلمانيين والشيوعيين وغيرهم، فكان أخوه يناصحه، فلا يستجيب له، فمرض ذلك المنحرف مرضًا شديدًا، أصيب بالسرطان، ولزم الفراش، فكان أخوه يأتيه، ويتحدث إليه، ويرجو هدايته، لعل الله يختم له بخير. وفي أحد الأيام قال ذلك المريض لأخيه: أحضر لي المصحف، قال أخوه: فقمت فرحًا مسرورًا لأحضره له، لعل الله يكتب لأخي خاتمة سعادة، قال: فأتيت بالمصحف، فلما رآه قال: هذا المصحف؟ قلت: نعم. فقال عن نفسه: إنه كافر بهذا المصحف، ثم مات من لحظته -والعياذ بالله-.

هذا يذكرنا بقول مجاهد السالف ذكره: "ما من ميت يموت إلا مُثِّل له جلساؤه"، فهذا المنحرف -مثلاً- مُثِّل له جلساؤه الذين كان يجلس معهم، فيتكلمون بالكفر من سب الله ورسوله وكتابه، وشتم الدين، والسخرية من أهله، مُثِّلوا له فأغروه بأن يُصرَّ على ما هو عليه من الكفر والضلال!!

وقل مثل ذلك في حق كل مرتكب معصية، من متعاطي مخدرات، أو غير ذلك، حيث يمثل له جلساؤه الأشرار- والعياذ بالله- فيغرونه بالإصرار على ما هو عليه.

- أخي الحبيب، تأمل في ذلك وقارن بينه وبين من يُكتب له حسن الخاتمة، وفي ذلك قصص وأخبار كثيرة من الغابر والحاضر، وإليك طرفًا منها:

لما احتضر حذيفة — رضي الله عنه – قال: "اللهم إني أعوذ بك من صباح إلى النار، لا أفلح من ندم، مرحبًا بالموت، حبيب جاء على فاقة".

ولما حضرت بلالاً — رضي الله عنه – الوفاة كان يقول: "غدًا نلقى الأحبة؛ محمدًا وحزبه"، فلما بكت زوجته، وقالت: وابلالاه! واحزناه! قال: وافرحاه! واسروراه!!

خيثمة بن عبد الرحمن لما احتضر دخلت عليه امرأته باكية،

فقال لها: "ما يبكيك؟ الموت لابد منه"، فقالت: الرجال بعدك علي حرام، فقال: "ما كل هذا أردت منك؛ إنما كنت أخاف رجلاً واحدًا، وهو أخي فلان". أي: أنه يخشى أن يتزوجها بعده أخوه، وكان أخوه رجلاً فاسدًا يشرب الخمر، فخشي أن يشرب في بيته الخمر، بعد أن كان يُتلى فيه القرآن. انظر اهتمامات هذا الرجل، وهو في ساعة الموت، إنها لخاتمة حسنة – إن شاء الله –.

مجاهد بن جبر – رحمه الله – مات وهو ساجد.

عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – عند احتضاره، قال لمن عنده: "اخرجوا فلا يبقَ منكم أحد"، فخرجوا، وجلسوا عند الباب يستمعون، فسمعوه يقول: "مرحبًا بهذه الوجوه، ليست بوجوه إنس ولا جن، ثم قال: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القصص: ٨٣]" ثم مات – رحمه الله–.

- آدم بن أبي إياس، ختم القرآن وهو مُسَجّى[٤٥] على سريره، ثم قال: "يارب، بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أؤمِّلُك لهذا اليوم"، ثم قال: "لا إله إلا الله"، وفاضت روحه.
- الإمام أحمد – رحمه الله – قال في مرض موته لولده عبد الله:

جئني بالحديث عن طاووس، أنه كان يكره الأنين – أي يكره أن يئن المريض– فقرأه عليه؛ فلم يئن الإمام أحمد إلا في الليلة التي توفي فيها[٤٦]. قال ابنه عبد الله: كان يغمى عليه، ثم يفيق، فإذا أغمى عليه فتح عينيه، ثم أشار بيده وقال: لا.. بعدُ بعدُ، قال عبد الله: ففي المرة الثالثة قلت: "يا أبَه، إيش هذا؟" قال: "وماذاك؟" قال: "إني أراك تحرك يدك، وتقول: لا.. بعد بعد، قد لهجت بهذا الكلام، ولا أدري له معنى"، فقال له الإمام أحمد: إبليس –لعنه الله– قائم بحذائي، عاضٌّ على أنامله، يقول: يا أحمد، فُتّني.. يا أحمد، فُتّني. فأقول له: لا.. بعد بعد، حتى أموت"[٤٧]. يعني أنه مادامت الروح في الجسد فلازال هناك خوف كبير من الشيطان.

ولما احتضر أبو الوقت السِّجْزي – رحمه الله – أسنده بعض تلاميذه إلى صدره، فقال: **(قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)** [يس:٢٦،٢٧].

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة، قال: يا دنيا ما أطيبك، إن طويلك قصير، وإن كثيرك لحقير، وإن كنا منك لفي

غرور، ثم أنشأ يقول:

إن تناقش يكـن نقاشـك يا
رب عذابًا، لا طَوْق لي بالعذابِ
أو تجـاوز فأنت رب صفوح
عن مسيء ذنـوبه كالتـرابِ[٤٨]

محمد بن واسع – رحمه الله – كان بحضرته عند وفاته قوم جلوس، وقوم قيام، فقال: أيّما يغني عني هؤلاء إذا أُخذ غدًا بناصيتي وقدمي وألقيت في النار؟! ثم تلا قول الله تعالى: **﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾** [الرحمن: ٤١]

أذكر قصة لشاب معاصر، قضى عمره في الدعوة إلى الله – عز وجل – كان في عمرة في سنة من السنوات، فأصابه مرض ذهب على إثره إلى المستشفى، ثم جاءت اللحظات الأخيرة من حياته، فيحدثني بعض الذين كانوا قريبين منه، أنه في إحدى الليالي طلب المصحف، فأخذه وتلا منه ما تيسر له، ثم وضعه على صدره، وأغمض عينيه، وسلم روحه لباريها. وقد كنت ممن

صلى عليه في تلك الليلة، فرحمة الله عليه، وإننا لنرجو أن تكون تلك الخاتمة خاتمة خير له.

- أخي الحبيب إن الله – سبحانه وتعالى – لا يظلم أحدًا، وهذه القصص والنهايات، تبين أن نهاية كل إنسان تكون من جنس عمله الذي كان يعمله في حياته، فتصور –يا أخي– أن الموت فاجأك هذه اللحظة، فقل لي بربك: هل أنت على حالة تسر؟ هل أنت قائم بما فرض الله عليك، ومنته عما نهاك عنه؟! هل أنت بار بوالديك، واصل لرحمك، متقٍ لربك، أم أنك منغمس في أوحال المعاصي والذنوب؟

أخي إن عمل الإنسان دليل على خاتمته، ويخشى على من قضى حياته راتعًا في معاصي الله أن يختم له بخاتمة سوء، يشقى بعدها في نار جهنم. فهل آن لنا أن نستيقظ؟

وماذا بعد الموت؟!

أخي..

ولـو أنّا إذا متنـا تُركنـا
لكـان الموت راحة كل حي

ولكـنّـا إذا متنـا بُعثنـا
ونسأل بعدها عـن كل شي

أخي، ما المشاهد التي تنتظرنا في موقف القيامة؟!

ماذا أمامنا من النعيم أو العذاب؟!

إن في الآخرة من النعيم والخير والرضا للمتقين ما لا يحيط به وصف، ولا يخطـــر على بال، وإن فيها من الأهوال والنكال، والعذاب الأليم للمسيئين ما تقشعر له الأبدان، وتتفطر له القلوب.

- أما عن الفريق الأول، فيقول الله تعالى في الحديث القدسي الذي يرويه عنه نبيه – صلى الله عليه وسلم –: **"أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"**[٤٩]، قال أبوهريرة: اقرؤوا إن شئتم

قوله تعالى: **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُم من قُرةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [السجدة:١٧].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: **"إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد، المضمر السريع، في ظلها مئة عام ما يقطعها"**[٥٠]، وذلك قوله تعالى: **﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾** [الواقعة:٣٠].

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: **"يقول الله** – عز وجل – **يوم القيامة: يا أهل الجنة، هل رضيتم؟ فيقولون: يارب، ومالنا ألا نرضى! ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ ألم تباعدنا عن النار؟ فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول الله** – عز وجل – **: أُحِل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا"**[٥١].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: **"أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ**

منهم زوجتان، كل واحدة منهما يرى مخ سافها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشيا، لا يسقمون، ولا يمتخطون، ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة[٥٢]، ورشحهم المسك" [٥٣].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة – رضي الله عنهما – قالا: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ينادي منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا؛ فذلك قوله – عز وجل – **(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** [الأعراف:٤٣] [٥٤]

أي شيء نعيم الدنيا؟! أي شيء لذاتها؟! أي شيء سرورها؟!

إن كل شيء يريده الإنسان من نعيم الدنيا لا يساوي شيئًا في نعيم الجنة، وكيف يساويه والرسول – صلى الله عليه وسلم

– يقول: "**لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب"** وقال: "**لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب"**[٥٥].

وإن خسارة الإنسان لهذا النعيم في الجنة لهي الخسارة الحقيقية، حتى لو كان سيقال له: كن ترابًا، فيكون ترابًا ولا يعذب؛ فكيف والحال أنه مع خسرانه الجنة سيعذب في النار، وسيقاسي فيها ألوان النكال الهائل؟!

قال الله تعالى: **(قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ)** [الأعراف:٣٨]

وعن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى عنقه، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته"**[٥٦]، رواه مسلم.

وعـــن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قرأ رسول الله – صلى الله علـــيه وسلم – **(يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُواْ اتقُواْ اللّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُـن إِلا وَأَنتُم مسْلِمُونَ)**[آل عمران: ١٠٢]، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: **"لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، فكيف من ليس لهم طعـام إلا الزقوم ؟!"**[٥٧]. والحديث رواه الترمذي، وهو حديث حسن صحيح.

أخي العزيز، كيف نتحدث بذعر عن الغازات السامة والقنابل الهيدروجينية، والأسلحة النووية والجرثومية الفتاكة؛ وننسى الزقوم؟! مع أن تلك الأسلحة من صنع البشر، ومهما كان فهي محدودة، أما الزقوم فهو عذاب الله الأليم في الآخـــرة **(إِن شَجَرَةَ الزقومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ)**[الدخان:٤٣-٤٦]

ومما يصور أهوال عذاب يوم القيامة قوله تعالى (**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبهِمْ فَالذِينَ كَفَرُوا قُطعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ من نارٍ يُصَب مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ**

وَالْجُلُـودُ وَلَهُم مقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَم أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) [الحج:١٩-٢٢]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: "كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ سمع وجبة، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: أ**تدرون ما هذا؟** قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها"**[٥٨].

وعن النعمان بن بشير – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "**إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا وإنه لأهونهم عذابًا**"[٥٩]. فكيف بالذي في قرار الجحيم: يصلى نار جهنم، ويأكل الزقوم، ويشرب الغسلين، ويضرب بالمقامع، لا يزداد في النار إلا عذابًا وحسرةً؟!

إن أمام كل حي أهوالاً جسامًا يجب الاستعداد لها، والعمل قبل فوات الأوان، فعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال: قال

رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: **"لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا"**(٦٠) .

باب التوبة مفتوح

أخي الشاب.. أخي الحبيب، يقول الله تعالى: **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)**[الزمر:٥٣]، ويقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "إن الله تعالى يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها" رواه مسلم(٦١).

وفي حديث صفوان بن عسال – رضي الله عنه – أيضًا أنه ذكر بابًا للتوبة مسيرة سبعين عامًا، لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها(٦٢).

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – مرفوعًا: **"إن الله تعالى يقبل توبة العبد، مالم يغرغر"**(٦٣).

إذن.. عجِّل يا أخي الحبيب، عجِّل مادام الباب مفتوحًا، قبل أن تطلع الشمس من مغربها؛ فلا تنفعك التوبة. وما يدريك فلعلنا نعايش قرب الأشراط الكبرى للساعة، أو نحن على أبوابها، ونحن لا ندري. فأقول لك: عجل بالتوبة قبل أن تغرغر، قبل أن

تتردد الروح في حلقك، فحينئذ لا تقبل منك التوبة.

وعن أنس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: **"كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"**[٦٤].

فيا أخي الحبيب، والله إني لك محب، وعليك مشفق، ولك ناصح، حاول أن تكون من التوابين... كلنا خطاؤون، فمن منا التوابون؟!

وختامًا للحديث عن التوبة أسوق هذه القصة التي ذكرها صاحب كتاب: "العائدون إلى الله" وهي: أن شابًا توفي أبوه، فأصبحت أمه تسهر على رعايته وتربيته، وتشتغل بالخدمة في بيوت الجيران؛ لكي تجمع له ولإخوانه المال، فلما كبر هذا الشاب سافر للدراسة في الخارج، ثم عاد يحمل شهادة عالية، ولكن بعد أن غسل دماغه، وانحرفت أفكاره، وتغيرت أخلاقه، ونسي فضل الأم، فلما أراد الزواج عرضت عليه أمه فتاة طيبة صالحة، لكنه لم يقبلها، وانطلق يبحث عن فتاة من بيئة مترفة، وبالفعل تزوج فتاة من هذا النوع، وأسكنها مع أمه في البيت،

وبعد ستة أشهر من الزواج دخل البيت يومًا فوجد زوجته تبكي، فسألها عن سبب بكائها. فقالت: لا أستطيع البقاء مع أمك في هذا البيت، لا أطيق الصبر عليها أكثر من ذلك. يقول هذا الشاب: فغضبت غضبًا أنساني حق أمي؛ فطردت أمي من البيت، فغادرت وهي تلتفت إلي، وتقول: يا ولدي أسعدك الله. يا ولدي أسعدك الله. يقول الشاب: وبعد أن ذهب عني الغضب، وعاد إليّ شعوري؛ ذهبت أبحث عن أمي، فلم أجدها، فرجعت إلى البيت، واستطاعت زوجتي بذكائها وجمالها أن تنسيني أمي الغالية، فانقطعت أخبارها عني.

وبعد فترة أصبت بمرض خبيث، دخلت على إثره المستشفي، فلما علمت أمي بذلك جاءت تزورني في المستشفى، وكانت زوجتي عندي، فقابلت أمي عند الباب وقالت لها: ارجعي، ابنك ليس هنا، ماذا تريدين منا؟ اذهبي عنا، نحن لا نريدك، فخرجت أمي من المستشفى.

وبعد مدة خرجت من المستشفي، وما لبثت صحتي أن تدهورت مرة أخرى، فعدت إلى المستشفي، وفقدت وظيفتي، وتراكمت عليّ الديون، وتخلى عني أصدقائي، وهرب الناس من حولي.

وفي يوم من الأيام قالت لي زوجتي: أنا لا أريدك طلقني.. ليس لك وظيفة، ولا مكانة في المجتمع؛ فأنا لا أريدك.

يقول: فكانت تلك صفعة شديدة عليّ، لكني كنت أستحقها فعلاً؛ لقد أيقظتني من السبات الذي أنا فيه.. خرجت أهيم على وجهي، أبحث عن أمي، وفي النهاية وجدتها.. لكن أين؟ في أحد الأربطة، تعيش على صدقات المحسنين، وقد أثر فيها البكاء؛ فبدت شاحبة ضعيفة، وما أن رأيتها حتى ألقيت بنفسي عند رجليها، وبكيت بكاءً مرًّا، وما كان منها إلا أن شاركتني في البكاء، واختلطت أصواتنا، وظللنا على هذا الحال ساعة أو أكثر، ثم أخذتها معي في سيارتي إلى البيت، وآليت على نفسي أن أطيعها ما حييت.

يقول هذا الشاب: وأنا الآن أعيش أحلى وأسعد أيامي مع

حبيبة العمر أمي حفظها الله.

نسأل الله أن يوفقنا للتوبة النصوح، كلما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح.

والسلام عليك -أخي الحبيب- ورحمة الله وبركاته، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



فهرس

الموضوع **الصفحة**

* * *